

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلاوة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

— ٤ —

—————

اللغة والسلوك والذكا. — اللغة والم —
أماير لغوية — نماير منقحة

(١)

«نحن نقدر ونبعت بالكلمات، وسلوكنا في البيت والشارع والحقل والممنوع هو قبل كل شيء سلوك لنوؤى، لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والاشغالات، وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر، بل نستطيع أن نقول إن سيادة البريطانيين على المنود، أو التمدنين على التوحشين هي إلى حد ما سيادة لغوية، أي مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والأخلاق تحدث براعة في الفن وتوجيها في السلوك يؤديان إلى السيادة وأحيانا إلى العدوان» ص ١٠٠
«ومما لا شك فيه أن هناك بين التوحشين والبدائين أذكيا من الطراز الأول، ولكن ذكاهم يبق عتيا، لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوي المحدود الذي ينطلقون ويفكرون بكلماته، واللغة لهذا السبب هي أعظم المؤسسات الاجتماعية في أية أمة، لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء، في أبنائها، ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التي تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة» ص ٩٢ .

هنا ينظر الأستاذ إلى اللغة بعين واحدة، لأنه رجع إليها وحدها التفكير والسلوك، وأغفل تأثير المجتمع فيها، فليست اللغة وحدها هي التي تحفز وتدفع، وليس المجتمع سيكة تصوغها اللغة وتشكلها، لأن اللغة تؤثر في المجتمع وتتأثر به، بل لكل تأثرها بالمجتمع أقوى من تأثيرها فيه؛ لأن المجتمع هو الذى وضعها وأنشأها

ونماها ورعاها، فلا شك أن المجتمع وحد قبل أن توجد اللغة، ولا شك أن المجتمع هو الذى صاغ هذه اللغة في آحاد متباعدة ليمر بها عن حاجته، فاللغات أسبق من اللغة المعرعة عنها، والقول بأن اللغة وليدة المجتمع ومراة لحياته أصدق من الزعم بأن المجتمع وليد اللغة وصورة منها .

تقد نهض المسلمون أولا، وبسطوا سلطانهم على الشرق والغرب، ثم تأثرت لغتهم بحياته الجديدة قامت ومررت وجدت فيها ثقافات لم تكن لهم من قبل.

ونهضت مصر والشرق العربي في هذا العصر، ثم اتسمت اللغة بما طرأ عليها من فنون، استجابة لهذه النهضة .

ومن ذلك أنا الآن نترجم وتؤلف ونضيف إلى اللغة مصطلحات جديدة في الطب والقانون والاجتماع والاقتصاد والكيمياء وغيرها، أفنحن استجبنا لروح النهوض ثم استخدمنا اللغة لتحقيق هذا النهوض، أم أنا كنا نعرف هذه المصطلحات وهي التي أوحت إلينا بهذا النهوض؟ لا شك أن اللغة هي التي خضعت لحاجتنا وتأثرت بنهضتنا .

ولو صدقنا الزعم بأن اللغة هي الخلاقة والقائلة لكات النتيجة الطبيعية أن سكان الهند وجنوب إفريقيا الذين يتكلمون بالإنجليزية، وسكان تونس والجزائر الذين يرتطنون بالفرنسية — في صف واحد مع الإنجليز والفرنسيين، لأن اللغة هي اللغة .

ثم ما للشرق تخلف عن ركب الحياة بعد أن كان الرائد والقائد، ولنته هي لنته إن لم تكن قد زادت ثروة من الكلمات والتماير وسعة في الخيال؟

وما لنا نرى كثيرين جداً من المثقفين الدارسين لأكثر من لغة يتكلمون الفضية وهم على علم بما يفترون؟ ويمدون صوايح أمهم وأنفسهم وهم على بينة أنهم عادون؟ إن كانت اللغة هي الحافظ والملمم فلماذا لم تحفزهم إلى الخير وتلهمهم نوازعهم .

إن اللغة لا تحفز إن لم يكن خلفها رصيد من قوة الخلق، وسر الروح، والطموح إلى مثل أعلى، أما اللغة وحدها فزجاجات

أو كل متقف يخالط على الشاطئ امرأة عريانة لا يفكر في
النتمة الحسدية؟

أستطيع أن ندعى أن الثقافة نمت الفريه

أبذكر متقف الخفة والرشاقة والحاذية ثم ينقطع به خياله
عند هذا الحد؟ وماذا بعد الإعجاب والخفة والرشاقة والحاذية؟

أرى متقف امرأة ذات خفة ورشاقة وحاذية ويعجب بها
ثم يسجد لله إقراراً بقدرته وتقوده في صنمته؟

وهل هذه المرأة دمية أو تمثال حتى يقنع منها بالنظر؟

وإذا كان للثقف كثيراً ما تعجبه الوردة الناضرة فلا يقنع
منها بانتظر، بل يتطفئها ويشمها، وكثيراً ما تروقه الأليفة
الجلية فلا يكفيه منها الرؤية، بل يلمسها ويداعبها، فلم يزعم زاعم
أن المرأة الحسنة العارية أو غير العارية تروعه ثم يخالطها، ولكنه
يتبتل ويتربص!

إن الداعين إلى هذا البلاء ليسوا إلا مغالطين مخادعين يترون
على عواطفهم؟ ويكذبون في تحليل نفوسهم، أو يجارأ بسفون خدمهم
ما بقي لهذه الأمة من حصن الأخلاق

— ٣ —

« ومن الأحافير اللغوية كلمات (الدم) و(التأر) و(المرض) و(العرض)
في بعض مديريات الصعيد، فإن هذه الكلمات تؤدي إلى قتل نحو
ثلاثمائة امرأة ورجل كل عام » ص ٥٢

أكاد أشفق على هذا الكاتب الذي يخط ويخلط فيما يكتب،
ويتردى ثم لا ينهض إلا ليكبو، فإذا كانت دعوته إلى الاختلاط
والرى مستورة يستار شفيف فإن دعوته هذه مكشوفة مفضوحة
تطل بقرنيها من خلال كلماته

إنه يريدنا على أن نحوم من لئتنا كلمة (المرض) فلا نتار،
وكلمة (التأر) فنذل ولا ننتقم، وكلمة (الدم) فتهدر حياتنا وحياتنا
أعزائنا فلا نتار!!

إن الديك التي لا يعرف كلمة (المرض) يفار على دجاجاته،
ويصد عنهن الجنيب الغريب، والديك التي لا يعرف كلمة (الدم)

منقطة على معان لا ينتفع بها إلا من يتذوق مرهاها، ويقفه مما بها
ولر كانت الشأن للغة وحدها لما كل من حفظ كلمات الحمد،
والشهامه، والروءة، والنجدة، والرمزة الخ.

(٢)

« يجب أن نذكر أن كثيراً من توجنا من الحب واختلاط
الجنسين يرجع إلى أننا نتمتع بكلمات المحاشين سوء أ كانت
فصحى أم عامية في وصف هذه العلاقات الجنسية بدلًا من كلمات العلماء
أو المثقفين، وتلك كما فكر بعضنا في الحب أو اختلاط الجنسين
على الشواطئ أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر
فيصد ويصرخ في الدعوة إلى انفصال الجنسين » ص ٨٤.
ما شاء الله!

هل الفبر على الخلق الكريم أن يتدهور، وعلى عفاف المرأة
أن يخدش، وعلى صمة الأسرة أن تلوث، وعلى المرض أن يهتك،
إنما يصرخون بدعوتهم لأنهم يستعملون كلمات المحاشين التي توحى
إليهم بالبذاء والعهر والنجور؟
وهل الذين يتوجسون من الحب أن يفلب الهوى العقل،
وأب يجر ويلات على الفتيان والفتيات، إنما يتوجسون لأن
قاموسهم اللغوي منحط؟

ومن الظريف أن هذا الأستاذ الداعية إلى اختلاط الجنسين
على الشاطئ في عرى وتهتك قد ضرب المثل على صحة دعواه بأن
الثقف يرى المرأة العارية فيتذكر الرشاقة، والحاذية، والصحة الخ
والرجل التأخر أو (المحاش) يراها فيتذكر اللذة، والأرداف،
والقبلة الخ.

فأية صيحة منككرة هذه الصيحة؟

وماذا بقي من الدعوة الجريئة المكشوفة إلى العرى
والاختلاط والإباحية؟

هي دعوة خاطئة خاطئة بنيت على أساس خاطيء وإد تقدناه
في تأثير اللثة. وأنا أسأل الأستاذ:

أكل من يقعون في المحرم وسطون على الأعراض من
غير المثقفين؟

أو الثأر) يصون عزته فيناضل من يمتدى عليه ، وإن كان أشد منه مراساً وأقوى شكيمة .

أفنتكس نحن فنكون أقل من الديك غيرة وحية ؟

ولن يزعم إنسان أن لغة الشمال وبقية مديريات الجنوب خالية من كلمات الثأر والدم والمرض ، فلماذا لا تكثر هناك جنائيات القتل ؟ أنتهمهم في رجولتهم وكرامتهم وشرفهم ؟ لا ، فليس مرد حوادث القتل إلى اللغة ، ولكن إلى ظروف أخولعل منها : الجوع ، والفقر ، والضغائن الموروثة ، والضرب إلى الأسفل العربي بمرق ، والاعتزاز بالشرف الذي تحدره موجات المدينة الداعرة . فلاجريرة للغة في هذا ولا دخل

وإذا سلطنا جدلاً أن الثأر للكرامة ، وأن سون المرض من جرأر اللغة فإحبها جريرة . ونحير إذن أن تبقى هذه الكلمات حية تعمل في النفوس عملها ، لا أن تسمى (حفاًر)

أيها العُشير على الأعراض في مصر ! خففوا من غلوائكم ، بل أميتوا غيرتكم ، وأنشوا رجولتكم ، فإنكم هجم في رأى الأستاذ سلامة موسى !!

أيها الطامحون إلى الاستقلال التام ، الثأرون للكرامة والحريّة النصوبية ! رويدكم فإنكم متأخرون في زعم كاتب من كتاب مصر !!

أيها الآباء ! أيها المربون للجليل الجديد ! أيها الواضعون للقاموس اللغوي الجديد ! احذفوا من لنتكم كلمات المرض والثأر والدم وأخرأبها لتنشوا ناعجاً لا تثار ولا تتور ولا تنار !

—٤—

« وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يافها التهن الذكي ، ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التي تعلقناها وغرست في نفوسنا قيمة مزيفة للاستمارة والمجاز ، فما زالت صحفنا مثلاً تقول :

عرض على بساط البحث ، بدلا من عرض للبحث

وخاض غمار القتال ، بدلا من قاتل

وحى وطيس الحرب ، بدلا من حى القتال

ودارت رعى للمركة ، بدلا من دارت المركة

ووضعت الحرب أوزارها ، بدلا من انتهت المركة الخ

ونحن نمتغنى عن الاستمارة حين يمكن الاستغناء عنها

أو حين تعكس مجتمعا يخالف مجتمعنا » ص ٧٣

ولكن الاستمارة — ماذا مت في موضعها ، وصدى لشعور

الأديب وانفعاله وخياله — جوهرية في النص لا يمكن الاستغناء

عنها ، وإلا فقد التعبير عن النفس قيمته وقوته وجماله

ولا عيب في أن تشير بعض الاستعارات إلى حياة سابقة ،

لأن الكلمات التي نكتب بها ونشعر ، لها تاريخ وأعمار وأطوار

وأحوال مرمت بها تخالف في كثير أمر في قليل المعاني الجديدة التي

نطلقها عليها الآن ، وما زالت اللغات الحديثة حافظة باستعارات

تعكس سورا قديمة ليست قائمة ، بل إن بعضها يشير إلى أساطير

عتيقة .

وأنا أدين خطأ الأستاذ في عيبه هذه التعابير التي تتداولها

الأقلام :

١ — « عرض على بساط البحث » : يتوهم أن هنا زيادة

يمكن الاستغناء عنها ، ولكن المعنى إذا حذف كمة بساط ليس

كالعنى بها ، فكلمة بساط أقادت أن البحث واسع ، حر ، واضح ،

متكشف للباحثين جميعاً كأنه شيء على بساط أمام الناظرين ،

والتركيب إذن تشبيه بليغ من إضافة المشبه به إلى المشبه

٢ — « خاض غمار القتال » : والنهار من معانيها الشدة ،

والزردحم ، وشدة الظلام ، وإلحوض في الأصل للماء ، فالصورة

الخيالية هنا أن الميدان غاص بالمحاربين ، وعنددم كالبحر الزاخر ،

وهذا المحارب شجاع ، لأنه خاض هذا الميدان للهبب الرهيب ،

وهذا معنى لا يؤديه كمة (قاتل) ، لأن للقائفة تكون بين اثنين

وأكثر ، وتكون بمهاسة وشجاعة كما تكون بيجين وفزع

٣ — « حى وطيس الحرب » : وهي جملة ابتكرها النبي

والعامية والإفريقية ، وملنى فيه الإعراب ، وبالحروف اللاتينية ،
وأساس البلاغة في المقال المنطق وحده ، وبمجرداً من كل استعارة
أو تشبيه ، أو مجازاً يمكن الاستثناء عنه ، ثم لا أطالبه ولا أطلب
القراء بتقدير قيمته الفنية ، بل أطلبه وحده بفهمه ، وإن كان
قد حبره بقله

لأنك أدرك أن دعواته لهدم اللغة ، وتقويض الأخلاق ،
وازدياء الماضي المجيد ، إن هي إلا دعوات استعمارية لتبديد شمل
الأمة العربية ، أو دعوات تبشيرية لقطع ما بين المسلمين ودينهم
من صلة لغوية وخلقية ، ولكن إن يكون لدعواتهم صدى مادامت
أقلام في أيدي أحرار .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بالعبيدة الثانوية

عليه الصلاة والسلام يوم حين لما تجالد القوم
والوطيس في اللثة التنور ، وخيرة تحفر فتوقد فيها النار
للاشتواء ، والمراد حمس الحرب ، وعظم الخطب ، فهنا استعارة
رائمة مبنية على تشبيه الحرب بالنار ، لحرارة الضرب بالسيوف
أو المدافع أو القنابل ، وللحرارة التي يوقدها في جوم المحاربين
ما عليهم من سلاح ، وما يقومون به من حركة ، ثم لأن الحرب
تأكل الرجال ، وتفتى الأبطال كما تأكل النار الخطب
ولذلك قالت العرب : « أوقدت نار الحرب » ؛ وقال تعالى :
« كلما أوقدوا ناراً للحرب أطلقها الله » .

وقال زهير :

متى تبتئوها تبتئوها ذميمة وتضر إذا ضربتموها فتضرم
وهذه معان لا تقي بها كلمة دارت للمركة
٤ - « وضعت الحرب أوزارها » : والأوزار عدد الحرب
وآلاتها ، قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
فهذه كناية عن انتهاء الحرب ، لكنها أبلغ من الحقيقة ،
لأنها أفادت الحقيقة ، وأفادت معها دليلاً محسوساً على صدقها ،
ثم أفادت أن الحرب كانت طلائحة ، ثم في إسناد الرضع إلى الحرب
مجاز عقل أو استعارة أو حذف ، وكل منها جميل ، فليراجع الأستاذ
ذلك كله في كتب البلاغة إن أراد التفصيل

ولماذا لم ينتفن الأستاذ عن المجاز ما دامت الحقيقة قديرة
على أداء المعنى ؟

قال في ص ١٣ : « وهذا موضوع (تخصب) فيه الالتباسات »
وفي ص ٢٤ : « بل كانت تبقى هذه المعاني (أجنة) تؤله
(بالخاض) ، ولا تجد المخرج من ذهنه أو تخرج (جهيضة) » .
وفي ص ٨٩ : « لم تجد كلمات ولن الجوالاً لها (فذبلت)
ومات أمام (الأعشاب) التي زرعها كلنسو ولويد جورج » الخ
وأخيراً ، أسأل الأستاذ جاداً أن يكتب مقالا أدبياً واحداً
باللغة الجديدة التي دعا إليها ، بحيث يكون خليطاً من الفصحى

صدر في هذا الأسبوع كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

وقد زبدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثنه ١٥ قرشاً